[٥٦] ربح بيعك يا أبا الدحداح

لما نزل قول الله تبارك وتعالى :

﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾ (١) .

قال أبو الدحداح الأنصارى: يا رسول الله ، وإن الله ليريد منا أن نقرضه ؟.

قال : « نعم يا أبا الدحداح » .

قال : أرنى يدك يا رسول الله ، فناوله يده فقال أبو الدحداح : اشهد يا رسول الله أنى قد أقرضت ربي حائطي « بستاني » ، وكان له بستان فيه ستمائة نخلة ، وفى البستان زوجته أم الدحداح وأولاده يسكنونه ، ثم جاء إلى البستان ، فنادى زوجته : يا أم الدحداح .

قالت : لبيك .

قال : اخرجى أنت وأولادك ، فقد أقرضت الله بستاني .

فما أعولت زوجته ولا عنفته ، ولا صرخت فى وجهه ولكنها استبشرت ، وقالت : ربح بيعك يا أبا الدحداح ، ثم نقلت متاعها وصبيانها ... !!! .

فقال الرسول ﷺ : « **كم من عذق رداح فى الجنة لأبى الدحداح** » (٢) .

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٤٥ » .

(٢) **صحيح** : راجع السلسلة الصحيحة حديث رقم « ٢٩٦٤ » .

obeikandi.com

[٥٧] توبة امرأة مغربية بعد إصابتها بالسرطان وشفائها منه في بيت الله [١]

« ليلى الحلو » امرأة مغربية ، أُصيبت بالمرض الخبيث « السرطان » ، فعجز الأطباء عن علاجها ، ففقدت الأمل إلا بالله الذى لم تكن تعرفه من قبل ، فتوجهت إلى بيته الحرام ، وهناك كان الشفاء ، والآن – عزيزي القارئ – أتركك مع الأخت ليلى لتروى تفاصيل قصتها بنفسها ، فتقول :

منذ تسع سنوات أصبت بمرض خطير جداً ، وهو مرض السرطان ، والجميع يعرف أن هذا الاسم مخيف جداً ، وهناك فى المغرب لا نسميه السرطان ، وإنما نسمه « الغول » أو « المرض الخبيث » .

أصبت بالتاج الأيسر ، وكان إيمانى بالله ضعيفاً جداً ، كنت غافلة عن الله تعالى ، وكنت أظن أن جمال الإنسان يدوم طوال حياته ، وأن شبابه وصحته كذلك ، وما كنت أظن أبداً أني سأُصاب بمرض خطير كالسرطان ، فلما أصبت بهذا المرض زلزلنى زلزالاً شديداً ، وفكرت فى الهروب ، ولكن إلى أين ومرضى معى أينما كنت ؟! فكرت فى الانتحار ولكنى كنت أحب زوجى وأولادى ، وما فكرت أن الله سيعاقبنى إذا انتحرت ، لأنى كنت غافلة عن الله كما أسلفت .

وأراد الله سبحانه أن يهدينى بهذا المرض ، وأن يهدى بى كثيراً من الناس ، فبدأت الأمور تتطور .

---

(١) العائدون إلى الله ، للمسند ج ٢ ، وقال : هذه القصة نقلتها من شريط مسجل بصوتها هي « باختصار »

لما أُصبت بهذا المرض رحلت إلى بلجيكا وزرت عدداً من الأطباء هناك ، فقالوا لزوجي : لابد من إزالة الثدي ... وبعد ذلك استعمال أدوية حادّة تسقط الشعر وتزيل الرموش والحاجبين ، وتعطى لحية على الوجه ، كما تسقط الأظافر والأسنان ، فرفضت رفضاً كلياً ، وقلت : إنى أفضل أن أموت بثديي وشعرى وكل ما خلق الله بى ولا أشوه ، وطلبت من الأطباء أن يكتبوا لى علاجاً خفيفاً ففعلوا .

فرجعت إلى المغرب واستعملت الدواء فلم يؤثر عليّ ، ففرحت بذلك ، وقلت فى نفسى : لعل الأطباء قد أخطأوا ، وأنى لم أصب بمرض السرطان ، ولكن بعد ستة أشهر تقريباً بدأت أشعر بنقص فى الوزن ، لوني تغير كثيراً ، وكنت أحس بالآلام ، كانت معى دائماً ، فنصحنى طبيب فى المغرب أن أتوجه إلى بلجيكا فتوجهت إلى هناك .

وهناك ، كانت المصيبة فقد قال الأطباء لزوجى : إن المرض قد عم ، وأصيبت الرئتان ، وأنهم الآن ليس لديهم دواء لهذه الحالة ... ثم قالوا لزوجى : من الأحسن أن تأخذ زوجتك إلى بلدها حتى تموت هناك .

فُجِعَ زوجى بما سمع ، وبدلاً من الذهاب إلى المغرب ذهبنا إلى فرنسا حيث ظننا أننا سنجد العلاج هناك ، ولكنا لم نجد شيئاً ، وأخيراً حرصنا على أن نستعين بأحد هناك لأدخل المستشفى وأقطع ثدىى وأستعمل العلاج الحادّ .

لكن زوجى تذكر شيئاً كنا قد نسيناه ، وغفلنا عنه طوال حياتنا ، لقد ألهم الله زوجى أن نقوم بزيارة إلى بيت الله الحرام ، لنقف بين يديه سبحانه ونسأله أن يكشف ما بنا من ضرّ ، وذلك ما فعلنا .

خرجنا من باريس ونحن نهلل ونكبر ، وفرحت كثيراً لأننى لأول مرة

سأدخل بيت الله الحرام ، وأرى الكعبة المشرفة ، واشتريت مصحفاً من مدينة باريس ، وتوجهنا إلى مكة المكرمة .

وصلنا إلى بيت الله الحرام ، فلما دخلنا ورأيت الكعبة بكيت كثيراً لأنني ندمت على ما فاتني من فرائض وصلاة وخشوع وتضرع إلى الله . وقلت يارب ... لقد استعصى علاجي على الأطباء ، وأنت منك الداء ومنك الدواء ، وقد أُغلقت في وجهي جميع الأبواب ، وليس لي إلا بابك فلا تغلقه في وجهي ، وطفت حول بيت الله ، وكنت أسأل الله كثيراً بأن لا يخيبني . وأن لا يخذلني وأن يحيّر الأطباء في أمري .

وكما ذكرت آنفاً ، فقد كنت غافلة عن الله ، جاهلة بدين الله ، فكنت أطوف على العلماء والمشايخ الذين كانوا هناك ، وأسألهم أن يدلوني على كتب وأدعية سهلة وبسيطة حتى أستفيد منها ، فنصحوني كثيراً بتلاوة كتاب الله والتضلع من ماء زمزم – والتضلع هو أن يشرب الإنسان حتى يشعر أن الماء قد وصل إلى أضلاعه – كما نصحوني بالإكثار من ذكر الله ، والصلاة على رسول الله ﷺ .

شعرت براحة نفسية واطمئنان في حرم الله ، فطلبت من زوجي أن يسمح لي بالبقاء في الحرم ، وعدم الرجوع إلى الفندق ، فأذن لي .

وفي الحرم كان بجواري بعض الأخوات المصريات والتركيات ... كن يرينني أبكي كثيراً ، فسألنني عن سبب بكائي ، فقلت : لأنني وصلت إلى بيت الله وما كنت أظن أني سأحبه هذا الحب ، وثانياً : لأنني مصابة بالسرطان .

فلازمنني ولم يكن يفارقنني فأخبرتهن أنني معتكفة في بيت الله ، فأخبرن

أزواجهن ومكثن معي ، فكنا لا ننام أبداً ، ولا نأكل من الطعام إلا القليل ، لكنا كنا نشرب كثيراً من ماء زمزم ، والنبى ﷺ يقول : « **ماء زمزم لما شُرب له** » ، إن شربته لتشفى شفاك الله ، وإن شربته لظمأك قطعه الله ، وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله ، فقطع الله جوعنا ، وكنا نطوف دون انقطاع ، حيث نصلى ركعتين ثم نعاود الطواف ، ونشرب من ماء زمزم ونكثر من تلاوة القرآن ، وهكذا كنا فى الليل والنهار لا ننام إلا قليلاً ، عندما وصلت إلى بيت الله كنت هزيلة جداً ، وكان فى نصفي الأعلى كثير من الكويرات والأورام التى تؤكد أن السرطان قد عم جسمى الأعلى ، فكنّ ينصحنني أن أغسل نصفى الأعلى بماء زمزم ، ولكن كنت أخاف أن ألمس تلك الأورام والكويرات ، فأتذكر ذلك المرض فيشغلنى ذلك عن ذكر الله وعبادته ، فغسلته دون أن ألمس جسدي .

وفى اليوم الخامس ألح عليّ رفيقاتى أن أمسح جسدي بشىء من ماء زمزم ، فرفضت فى بداية الأمر ، ولكنى أحسست بقوة تدفعنى إلى أن آخذ شيئاً من ماء زمزم وأمسح بيدى على جسدى ، فخفت فى المرة الأولى ، ثم أحسست بهذه القوة مرة ثانية ، فترددت ، ولكن فى المرة الثالثة ودون أن أشعر أخذت يدى ومسحت بها على جسدى وثديي الذى كان مملؤاً كله دماً وصديداً وكويرات وحدث ما لم يكن فى الحسبان ... كل الكويرات ذهبت ولم أجد شيئاً فى جسدى ... لا ألماً ولا دماً ولا صديداً ... .

فاندهشت فى أول الأمر ، فأدخلت يدى فى قميصى لأبحث عما فى جسدى فلم أجد شيئاً من تلك الأورام ، فارتعشت ، ولكن تذكرت أن الله على كل شىء قدير ، فطلبت من إحدى رفيقاتى أن تلمس جسدى ، وأن تبحث

عن هذه الكويرات ، فصحن كلهن دون شعور : الله أكبر .. الله أكبر ..

فانطلقت لأخبر زوجي ودخلت الفندق ، فلما وقفت أمامه مزقت قميصي وأنا أقول : انظر رحمة الله ، وأخبرته بما حدث ، فلم يصدق ذلك ، وأخذ يبكي ويصيح بصوت عال : هل علمت أن الأطباء أقسموا على موتك بعد ثلاثة أسابيع فقط ؟! فقلت له : إن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى ولا يعلم الغيب إلا الله .

مكثنا في بيت الله أسبوعاً كاملاً ، فكنت أحمد الله وأشكره على نعمه التي لا تحصى ، ثم زرنا المسجد النبوي بالمدينة المنورة ورجعنا إلى فرنسا ، وهناك حار الأطباء في أمري واندهشوا وكادوا يُجنون ، وصاروا يسألونني : هل أنت فلانة ؟! فأقول لهم : نعم – بافتخار – وزوجي فلان ، وقد رجعت إلى ربي ، وما عدت أخاف من شيء إلا من الله سبحانه ، فالقضاء قضاء الله ، والأمر أمره.

فقالوا لي : إن حالتك غريبة جداً وإن الأورام قد زالت ، فلابد من إعادة الفحص .

أعادوا فحصي مرة ثانية فلم يجدوا شيئاً ، وكنت من قبل لا أستطيع التنفس من تلك الأورام ، ولكن عندما وصلت إلى بيت الله الحرام وطلبت الشفاء من الله ذهب ذلك عني .

بعد ذلك كنت أبحث عن سيرة النبي ﷺ وعن سيرة أصحابه رضي الله عنهم ، وأبكي كثيراً ، كنت أبكي ندماً على ما فاتني من حب الله ورسوله ، وعلى تلك الأيام التي قضيتها بعيدة عن الله عز وجل ، وأسأل الله أن يقبلني وأن يتوب عليّ وعلى زوجي وعلى جميع المسلمين .

[٥٨] خمس بخمس

عن سعيد بن مسلمة قال : بينما امرأة عند عائشة إذ قالت : بايعت رسول الله ﷺ على أن لا أشرك بالله شيئاً ولا أسرق ولا أزنى ولا أقتل ولدى ولا آتى ببهتان أفتريه من بين يدى ورجلى ولا أعصى فى معروف ، فوفيت لربى ووفا لى ربى ، فوالله لا يعذبنى الله .

فأتاها فى المنام ملك فقال لها : كلا ، إنك تتبرجين ، وزينتك تبدين ، وخيرك تكنزين ، وجارك تؤذين ، وزوجك تعصين ، ثم وضع أصابعه الخمس على وجهها ، وقال : خمس بخمس و لو زدت زدناك ، فأصبحت وأثر الأصابع فى وجهها .

obeikandl.com

[٥٩ - أ] قصة البقرة الناطقة

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **بينما راعٍ فى غنمه عدا عليه الذئبُ ، فأخذ منها شاةً ، فطلبه الراعى ، فالتفت إليه الذئبُ ، فقال : من لها يوم السبُعِ ، يوم ليس لها راع غيرى ؟!! ، وبينما رجل يسوق بقرة قد حملها عليها ، فالتفتت إليه فكلمته ، فقال : إنى لم أُخْلَقْ لهذا ، ولكنى خلقت للحرث** » ، فقال الناس : سبحان الله ! .

قال النبى ﷺ : « **فإنى أؤمن بذلك ، وأبو بكر ، وعمرُ بن الخطاب رضى الله عنهما** » [١] .

---

(١) **صحيح** : رواه البخارى ومسلم .

[ب] قصة الذئب المتكلم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :

عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبه الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه ، وقال : ألا تتقى الله ، تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي ؟! .

فقال الراعي : يا عجبي ذئب مقع على ذنبه يكلمنى كلام الإنس ؟!! .

فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ ، محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق !! .

قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زواية من زوايها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره وأسلم .

فأمر رسول الله ﷺ فنودى : الصلاة جامعة ، ثم خرج رسول الله ﷺ فقال للراعي : « **أخبرهم** » فأخبرهم ، فقال رسول الله ﷺ : « **صدق والذي نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبة سوطة وشراك نعلة ، ويخبره فخذه بم أحدث أهله بعده** » [(١)] .

(١) **صحيح** : أخرجه أحمد والترمذى وقال : حسن صحيح ، والحاكم وصححه وأقره الذهبى .

[٦٠] الرحيل [١]

بدت أُختى شاحبة الوجه نحيلة الجسم .. ولكنها كعادتها تقرأ القرآن الكريم .. تبحث عنها تجدها فى مصلاها .. راكعة ساجدة رافعة يديها إلى السماء .. هكذا فى الصباح وفى المساء وفى جوف الليل لا تفتر ولا تمل ..

كنت أحرص على قراءة المجلات الفنية والكتب ذات الطابع القصصى .. أشاهد الفيديو بكثرة لدرجة أننى عُرفتُ به .. ومَن أكثر مِن شىء عُرِف بـه .. لا أؤدّي واجباتى كاملة ولست منضبطة فى صلواتي .. .

بعد أن أغلقت جهاز الفيديو وقد شاهدت أفلاماً متنوعة لمدة ثلاث ساعات متواصلة .. ها هو الأذان يرتفع من المسجد المجاور ..

عدت إلى فراشي ..

تنادينى من مصلاها .. نعم ماذا تريدين يا نورة ؟ .

قالت لى بنبرة حادة : لا تنامي قبل أن تُصلى الفجر ..

أوه .. بقى ساعة على صلاة الفجر وما سمعته كان الأذان الأول ..

بنبرتها الحنونة – هكذا هى حتى قبل أن يصيبها المرض الخبيث وتسقط طريحة الفراش .. نادتنى .. تعالى يا هناء بجانبى .. لا أستطيع إطلاقاً رد طلبها .. تشعر بصفائها وصدقتها لا شك طائعاً ستلبى ..

ماذا تريدين ؟ ..

---

(١) الزمن القادم ، حـ ١ ، عبد الملك القاسم .

– اجلسي ..

– ها قد جلست ماذا لديك ..

بصوت عذب رخيم :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) .

سكتت برهة .. ثم سألتني ..

– ألم تؤمني بالموت ؟

– بلى مؤمنة ..

– ألم تؤمني بأنك ستحاسبين على كل صغيرة وكبيرة ؟ ..

– بلى .. ولكن الله غفور رحيم .. والعمر طويل ..

– يا أختي .. ألا تخافين من الموت وبغتته ؟ ..

– انظري هند أصغر منك وتوفيت في حادث سيارة... وفلانة ...وفلانة ... الموت لا يعرف العمر .. وليس مقياساً له ..

أجبتها بصوت الخائف حيث مصلاها المُظلم ..

– إنني أخاف من الظلام وأخشتني من الموت .. كيف أنام الآن ؟ .. كنت أظن أنك وافقت للسفر معنا هذه الإجازة ..

فجأة .. تحشرج صوتها واهتز قلبي ..

– لعلي هذه السنة أسافر سفراً بعيداً .. إلى مكان آخر .. ربما يا هناء .. الأعمار بيد الله . وانفجرت بالبكاء ..

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٨٥) .

تفكرت فى مرضها الخبيث وأن الأطباء أخبروا أبى سراً أن المرض ربما لن يمهلها طويلاً .. ولكن من أخبرها بذلك ؟ .. أم أنها تتوقع هذا الشيء ..

– مالك تفكرين ؟ ..

جاءنى صوتها القوي هذه المرة ..

– هل تعتقدين أنى أقول هذا لأننى مريضة ؟ ..

كلا .. ربما أكون أطول عمراً من الأصحاء ..

وأنت إلى متى ستعيشين .. ربما عشرين سنة .. ربما أربعون سنة .. ثم ماذا ؟ .. لمعت يدها فى الظلام وهزتها بقوة ..

لا فرق بيننا كلنا سنرحل وسنغادر هذه الدنيا إما إلى جنة أو إلى نار ...

ألم تسمعى قول الله : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (١) .

تصبحين على خير ..

هرولتُ مسرعة وصوتها يطرق أذنى .. هداك الله .. لا تنسي الصلاة ..

الثامنة صباحاً ..

أسمعُ طرقاً على الباب .. هذا ليس موعد استيقاظي ..

بكاء .. وأصوات .. ماذا جرى ..

لقد تردت حالة نورة .. وذهب بها أبى إلى المستشفى ..

إنا لله وإنا إليه راجعون ..

لا سفر هذه السنة .. مكتوب عليّ البقاء هذه السنة فى بيتنا

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٨٥ » .

بعد انتظار طويل ..

عند الساعة الواحدة ظهراً .. هاتف من أبى فى المستشفى .. تستطيعون زيارتها هيا بسرعة .

أخبرتنى أمى أن حديث أبى غير مطمئن وأن صوته متغير ..

عباءتي فى يدي ..

أين السائق .. ركبنا على عجل .. أين الطريق الذى كنت أذهب لأتمشى مع السائق فيه؟ يبدو قصيراً .. ماله اليوم طويل .. وطويل جداً ..

أين ذلك الزحام المحبب إلى نفسي كي ألتفت يمنة ويسرة .. زحام أصبح قاتلاً ومملاً ..

أمي بجواري تدعو لها .. إنها بنت صالحة ومطيعة .. لم أرها تضيع وقتها أبداً ..

دلفنا من الباب الخارجى للمستشفى ..

هذا مريض يتأوه .. وهـذا مصاب بحادث سيارة ، وثالث عيناه غائرتان .. لا تدرى هل هو من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة !! ..

منظر عجيب لم أره من قبل ..

صعدنا درجات السلم بسرعة ..

إنها فى غرفة العناية المركزة .. وسآخذكم إليها .. ثم واصلت الممرضة إنها بنت طيبة وطمأنت أمى أنها فى تحسن بعد الغيبوبة التى حصلت لها ..

ممنوع الدخول لأكثر من شخص واحد ..

هذه هى غرفة العناية المركزة ..

وسط زحام الأطباء وعبر النافذة الصغيرة التى فى باب الغرفة أرى عيني أختى نورة تنظر إلي وأمي واقفة بجوارها .. بعد دقيقتين خرجت أمى التى لم تستطع إخفاء دموعها ..

سمحوا لي بالدخول والسلام عليها بشرط أن لا أتحدث معها كثيراً .. دقيقتان كافية لك ..

– كيف حالك يانورة ..

لقد كانت بخير مساء البارحة .. ماذا جرى لك ؟ ..

أجابتنى بعد أن ضغطت على يدي : وأنا الآن ولله الحمد بخير .. الحمد لله ولكن يدك باردة ..

كنت جالسة على حافة السرير ولامستُ ساقها .. أبعدته عني .. آسفة إذا ضايقتك .. كلا ولكنى تفكرت فى قول الله تعالى :

﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [١] ، عليك يا هناء بالدعاء لى فربما أستقبل عن قريب أول أيام الآخرة ..

سفري بعيد وزادي قليل ..

سقطت دمعة من عيني بعد أن سمعت ما قالت وبكيت.. لم أعِ أين أنا ..

استمرت عيناي في البكاء .. أصبح أبي خائفاً عليّ أكثر من نورة .. لم يتعودوا هذا البكاء والانطواء فى غرفتي ..

مع غروب شمس ذلك اليوم الحزين ..

---

(١) سورة القيامة الآيات « ٢٩ ، ٣٠ » .

ساد صمت طويل فى بيتنا ..

دخلت عليّ ابنة خالتى .. ابنة عمتي ..

أحداث سريعة ..

كثر القادمون .. اختلطت الأصوات .. شيء واحد عرفته .. نورة ماتت ..

لم أعد أُميز من جاء .. ولا أعرف ماذا قالوا ..

يا الله .. أين أنا وماذا يجري ؟ .. عجزت حتى عن البكاء ..

فيما بعد أخبروني أن أبى أخذ بيدي لوداع أختى الوداع الأخير .. وأنى قبلتها .. لم أعد أتذكر إلا شيئاً واحداً .. حين نظرت إليها مسجاة .. على فراش الموت .. تذكرت قولها ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ، عرفت الحقيقة ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

لم أعرف أننى عدت إلى مصلاها إلا تلك الليلة ..

وحينها تذكرت من قاسمتني رحم أمى فنحن توأمان .. تذكرت من شاركتني همومي .. تذكرت من نَفَّست عني كربتي .. من دعت لي بالهداية .. من ذرفت دموعها ليالي طويلة وهي تحدثني عن الموت والحساب .. والله المستعان ..

هذه أول ليلة لها فى قبرها .. اللهم ارحمها ونور لها قبرها ..

هذا هو مصحفها .. وهذه سجادتها .. وهذا .. وهذا ..

بل هذا هو الفستان الوردي الذى قالت لى سأخبئه لزواجي .. تذكرتها وبكيت على أيامى الضائعة .. بكيت بكاء متواصلاً .. ودعوت الله أن يرحمني ويتوب عليّ ويعفو عني .. دعوت الله أن يثبتها فى قبرها كما كانت تحب

أن تدعو ..

فجأة سألت نفسي ماذا لو كانت الميتة أنا ؟ ما مصيري .. ؟ ..

لم أبحث عن الإجابة من الخوف الذى أصابنى .. بكيت بحرقة ..

الله أكبر .. الله أكبر .. ها هو أذان الفجر قد ارتفع .. ولكن ما أعذبه هذه المرة ..

أحسست بطمأنينة وراحة وأنا أردد ما يقوله المؤذن .. لفلفت ردائى وقمت واقفة أصلي صلاة الفجر .. صليت صلاة مودع .. كما صلتها أختى من قبل .. وكانت آخر صلاة لها ..

إذا أصبحتُ لا أنتظر المساء ..

وإذا أمسيتُ لا أنتظرُ الصباح ..

openkandl.com

[٦١] ما صار إليه أمر المتكبر والمنافق (١)

[أ] يروى أن رجلاً كان يسعى بين الصفا والمروة راكباً فرساً - قبل أن يصير المسعى فى المسجد - وبين يديه العبيد والغلمان توسع له الطريق ضرباً ، فأثار بذلك غضب الناس وحملقوا فى وجهه ، وكان فارع الطول ، واسع العينين ، وبعد سنين رآه أحد الحُجاج الذين زاملوه يتكفف الناس على جسر بغداد ، فقال له : ألست الرجل الذى كنت تحج فى سنة كذا وبين يديك العبيد توسع لك الطريق ضرباً ؟ .

قال : بلى ، قال : فما صيرك إلى ما أرى ؟ .

قال : تكبرت في مكان يتواضع فيه العظماء ، فأذلنى الله فى مكان يتعالى فيه الأذلاء .

[ب] ذكر الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - عن أحد خطباء مصر وكان فصيحاً متكلماً ، وأراد هذا الخطيب أن يمدح أحد امراء مصر عندما أكرم طه حسين فقال فى خطبته : جاءه الأعمى « طه حسين » فما عبس بوجهه وما تولى !! فما كان من الشيخ محمد شاكر والد الشيخ أحمد شاكر - إلا أن قام بعد الصلاة - يعلن للناس أن صلاتهم باطلة وعليهم إعادتها لأن الخطيب كفر بشتمه رسول الله ﷺ ، يقول أحمد شاكر :

ولكن الله لم يدع لهذا المجرم جرمه فى الدنيا قبل أن يجزيه جزاءه فى

---

(١) نوادر من التاريخ ، لصاح الزمام .

الآخرة ، فأقسم بالله لقد رأيته بعين رأسى بعد بضع سنين وبعد أن كان عالياً منتفخاً مستعزاً بمن لاذ بهم من الكبراء والعظماء ، رأيته مهيناً ذليلاً خادماً على باب مسجد من مساجد القاهرة يتلقى نعال المصلين يحفظها فى ذلة وصغار حتى لقد خجلت أن يرانى وأنا أعرفه وهو يعرفنى – لا شفقة عليه – فما كان موضعاً للشفقة ، ولا شماتة فيه ، فالرجل النبيل يسمو على الشماتة ، ولكن لما رأيت من عبرة وعظة .

obeikandl.com

[٦٢] مجالس الذكر [١]

فى مدينة الموصل .. وفى أوائل هذا القرن .. حدثت هذه الحادثة :

سارق مشهور واسمه « عبود » .. له عصابة من اللصوص المدربة .

وفى يوم من الأيام .. أراد سرقة دار جاره .. فعبر الحائط ، واستقر فوق السطح مع عصابته ، وأخذ يستطلع من أعلى حركة أهل الدار حتى يفاجئهم حين ينامون .

ولكنهم رأوا فى إيوان الدار – وكانت الدار مكشوفة من الطراز القديم – رأوا حلقة للذكر فيها جمع من الناس يذكرون الله .

وانتظر حتى الصباح .. ثم غادر الدار مع عصابته ليعود إليها سبعة أيام متتالية ، وليرى حلقة الذكر حافلة بالناس يذكرون الله .

وفى اليوم الثامن .. زار اللص بيت جاره – وكان الجار ورعاً تقياً كثير التدين مهتماً بأحوال الفقراء والمساكين والمحتاجين – وسأله : أفي كل يوم تقيم حلقة للذكر فى دارك ؟ .

فاستغرب الجار وقال : لم أعقد حلقة للذكر منذ سنوات !! .

قال اللص : الآن حصحص الحق ، وقص عليه القصة .

فقال الجار : لقد صدق الله العظيم حينما قال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** (٣٨) ﴾ [٢] .

ومضى عبود على وجهه كمن أصابته لوثة يردد : أنا رأيت مجالس الذكر بعينى !! كيف ؟ كيف ؟ .

---

(١) الفرج بعد الشدة والضيق ، جـ ٥ ، للحازمى .

(٢) سورة الحج الآية « ٣٨ » .

[٦٣] لسعة عقرب (١)

جاء فى مجلة حضارة الإسلام السورية العدد ٢ « ربيع الثانى ١٣٨٨هـ - تموز ١٩٦٨م » تحت العنوان أعلاه ما نصه :

قال لى محدثى : بينا كنت أبحث عن دابتى التى ضلت مني ساقني ذلك إلى ضفاف دجلة التى كانت تبعد عن قريتنا مسافة أمتار معدودة ، ومن عادة هذه القرية أنها تنام خارج منازلها فى فصل الصيف هرباً من الحر ، هذا يفرش على الأرض ، وذاك على السرير ، وآخر على صرة من القش وهكذا ، وقد كانت أمسية ذلك اليوم من الأمسيات المقمرة الجميلة التى يَتَصَدَّرُ فيها البدر كبد السماء مرسلاً أشعته الفضية على أرجاء المعمورة وقد بدت القرية مكشوفة أمام الأنظار تأخذ الألباب بمناظرها الخلابة ، وجوّها الساحر ، وهوائها العليل ، وإن هى إلا لحظات وتطلعت حولي وإذا بدويبة صغيرة عائمة على صفحة النهر قادمة باتجاهى ، لفتت نظرى هذه المخلوقة وأغرانى الفضول وحب الاستطلاع أن أعلم شيئاً عن أمرها ، ما زالت تجرى بحركتها الوئيدة حتى دنت من الضفة فإذا هى ضفدعة وعلى متنها عقرب قد تشبثت بها ، وما إن وصلت إلى اليابسة حتى نزلت عنها العقرب وانطلقت بكل سرعتها نحو قريتنا وكأن مهمة قد أوكلت إليها وعليها قضاؤها فى أوانها ، وجريت بدورى خلفها مقتفياً أثرها حتى دخلت فى حرم القرية ولم أشأ قتلها بل تركتها للقدر الذي ولاّها هذه الوجهة ، ولكنى تبعتها أنظر ماذا تصنع .

---

(١) طرائف وملح ، لموسى الأحمدى .

(١) كما تدين تدان ، سيد [illegible]

واتجهت نحو الصُبْرة التى فرش عليها حسين ذلك الشاب الصالح وقد استسلم لسبات عميق ، ثم إنها توغلت فى الصبرة ولم أعد أعرف عنها شيئاً ، ولكنى تريثت لأستجلى الخبر فما هى إلا برهة من الزمن حتى شاهدت اضطراباً فى فراش حسين فقلت فى نفسى : لابد أن العقرب قد لسعته ثم رأيتها تخرج من بين ثنايا الصبرة وهى أشد مضاء آئبة من حيث جاءت وما إن وصلت إلى الضفة حتى كانت مركبتها الضفدعة جاهزة لتنقلها إلى مكانها المعهود .

ثم عدت لأرى ما جرى لصاحبي حسين فرفعت الغطاء عنه وإذا بى أرى العجب العجاب ، إن حية عظيمة قد وقعت صريعة إلى جانبه وبوسائلي أبعدت الحية عنه فإذا هى لا تبدى حراكاً فعلمت عندئذ أنها هالكة وما أهلكتها إلا العقرب ، فقد كان خط الدماء المنسالة من رأسها يشير إلى مكان اللعسة وصاحبى حسين لم يصب بسوء ترعاه ملائكة الرحمة ، وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ [١] ، فسبحانه من إله حافظ ستار » انتهى كلام المجلة .

والحيات تموت من لسع العقارب .

---

(١) سورة الرعد الآية « ١١ » .

[٦٤] خطوات الشيطان (١)

تخرج أنور من الجامعة مهندساً ، وافتتح له أبوه مكتباً فخماً وأهداه سيارة ووعده بأن يهديه « ڤيلا » فخمة عند زواجه ، وكان والد أنور يعمل مقاولاً ، وقد رست مناقصة بناء عمارة حكومية عليه وكانت المهندسة « س – و » وهى المشرفة الهندسية على مشروع بناء العمارة الحكومية وكانت جميلة حسناء ، فأُعجب بها المقاول والد أنور ، ومع مرور الأيام نشأت بينه وبينها علاقة غرامية اختلطت فيها المصالح الشخصية مع العواطف والشهوات الحيوانية ، ورغم فارق السن بينهما تطورت العلاقات بين المقاول والمهندسة ، وكان والد أنور يغدق على المهندسة بالهدايا ، وبارك الشيطان هذه العلاقة فسقطا بالفاحشة ، وهتكا المحرمات وانغمسا فى الحرام دون خوف أو حياء وكان الشيطان يرعى هذه العلاقة وينميها ويطورها ، وتعددت اللقاءات بين المهندسة « س – و » والمقاول والد أنور فحملت منه سفاحاً ، فأخبرت المهندسة عشيقها المقاول أنها حامل فى شهرها الثانى وأنها لا تمانع فى الزواج منه ، لكن المقاول مع كبر سنه إلا أنه سقط فى الوحل واستلذ الحرام ، فاقترح عليها اقتراحاً شيطانياً خبيثاً ، وذلك أن يجهض عشيقته المهندسة ويزوجها لابنه المهندس « أنور » ، والمهندسة « س – و » هى من نفس حزب المقاول حزب الشيطان الذين لا يتوانون عن فعل أى شىء فى سبيل شهواتهم ومتطلباتهم فوافقت المهندسة على الاقتراح الشيطانى وأجهضت الجنين ، وأخذ المقاول يحاول بكل وسيلة إقناع

---

(١) كما تدين تُدان ، سيد الرفاعي .

ابنه بالزواج من المهندسة ، ولكن الابن رفض الزواج منها لأنه كان يعرف سلوكها عندما كانوا زملاء فى الجامعة وعلاقتها المشبوهة مع زملائه أثناء الدراسة ، لكن والده المقاول غضب وهدده أن يحرمه من كل الامتيازات التى وفرها له « الڤيلا والسيارة والمكتب » ويحرمه من أى مشروع وذلك من خلال علاقاته بالمسؤولين .

ورضخ « أنور » لرغبة والده وعقد القران بين المهندسة « س – و » وأنور بمباركة من الوالد العاشق ، ومرت الأيام وعادت العلاقة بين المهندسة ووالد زوجها ، وحملت « س – و » وهى غير متأكدة هل حملها من زوجها المهندس أنور أم والده !!! وولدت طفلين توأمين .

وحتى يخلو الجو للوالد الماجن كان يرسل ابنه المهندس فى مهمات عملية للإشراف على تعهدات ومقاولات تابعة له فى مناطق نائية بعيدة حتى يغرق الوالد فى بؤرة الفساد مع زوجة ابنه .

وحملت المهندسة « س – و » مرة ثانية ولكنها هذه المرة كانت متأكدة أن حملها كان أثناء غياب زوجها فهى حامل من والده المقاول .

ولدت المهندسة أيضاً توأمين طفلاً وطفلة !! .

استمرت « س – و » مع المقاول والد زوجها بعلاقتها الحرام وكان المقاول الأب يغرقها هي وأولادها بالأموال ويرعاهم .

وذات يوم كان الابن المخدوع فى مهمة عمل إلا أنه عاد قبل موعده ورأى سيارة والده فى الكراج فصعد الدرج إلى الطابق العلوي حيث غرف النوم فرأى والده مع زوجته وهما يتنادمان فى جلسة لا توحي إلا بعلاقة حرام بينهما ولما أحسا به تصرفا بشكل طبيعى وكأن لم يكن بينهما شيء ، وجم المهندس أنور

وأدرك أن علاقة حرام تجمع بين والده وزوجته ولكنه انتظر حتى يستفسر من زوجته عندما غادر والده البيت عائداً لبيته وكتم أنور غضبه ، وفى الصباح أخذ فى مساءلة زوجته عما رآه البارحة وتطور النقاش بينهما فاتهمها أن الأولاد ليسوا أولاده وأنهم أولاد حرام ، فبصقت الزوجة فى وجة زوجها واتهمته بعدم الرجولة وخرج أنور والشر يتطاير من عينيه متوجهاً إلى بيت والده وصارحه بالأمر وانهارت بينهما القيم وتقطعت الأواصر .

أما الزوجة التعيسة فجن جنونها وسيطرت عليها حالة من الهيستيريا أفقدتها أعصابها فأخذت ترمي بأولادها من الطابق العاشر واحداً تلو الآخر وسط ذهول الناس ورغم توسلاتهم ألا تلقي بهم ، ولكنها أعماها الغضب والجنون وألقت بهم جميعاً دون رحمة أو شفقة من الطابق العاشر ! (١) .

وهكذا كانت نزوة شيطانية سبباً بارتكاب هذه الجرائم البشعة التى لا يصدقها عقل ولكنها الشهوة الحرام واتباع الشيطان ، وكم حذرنا الله عز وجل فى كتابه المجيد من ألاعيب الشيطان ومكايده ، وأن همه إسقاط الناس بحبائله وضمهم لحزبه .

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾ (٢) .

قال رسول الله ﷺ : « **إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناه منه منزلة أعظمهم فتنة ... يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته .. فليزمه ويقول : نعم أنت** » (٣) .

---

(١) جريدة الأنباء .
(٢) سورة النور الآية « ٢١ » .
(٣) صحيح : رواه مسلم .